20- هولاكو وسقوط الخلافة العباسية (1258م)

Hollaco and the collapse of Abbasia Caliphate

بداية من هو هولاكو ؟

وأين نشأ ؟

وكيف أتى إلى بغداد ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لابد من التعريف أولاً بالتتار .. فمن هم التتار؟

التتار اسم يطلق على قبائل سكنت منغوليا وجنوب سيبيريا، ولذا أطلق عليهم أيضا اسم «المغول» .

ويُقسّم التتار وفقا لمراحل تطورهم إلى ثلاثة أقسام :

* التتار البيض، وهم القبائل التى نزلت وراء سور الصين العظيم ، وتأثروا بالثقافة الصينية .

* التتار السود ، وهم القبائل التى سكنت صحراء جوبى الأسيوية ، وهم قبائل رحل لا يستقرون فى مكان واحد ، بل ينتقلون حيث الماء والمرعى ومصادر الرزق الأخرى.

* قبائل سكنت المناطق الواقعة شمالى مناطق التتار السود ، وقد اعتمدت هذه القبائل فى حياتها على الصيد والقنص ، واشتهرت بذلك ، بالإضافة إلى شهرة أفرادها بكونهم قطاع طرق من الطراز الأول .. وعُرفت هذه القبائل بالقوة والشجاعة فى القتال ، والإخلاص لزعيمهم «تموجين بن بيسوكاى» .

كان «تموجين» ذا همّة عالية ، استطاع أن يوحد أفراد قبيلته ، ويكوّن منهم رجالاً أشداء ، تمكنوا من السيطرة على من حولهم .

أصبح «تموجين» ورجاله قوة لا يستهان بها .. يخافها الجميع .. وسرى هذا

الخوف إلى الصينيين ، بسبب خصومات قديمة بينهم وبين تلك القبائل المغولية ، وكانت الصين قد أفنت قبيلة منغولية بالكامل فى إحدى المعارك التى جرت عام 1161م .

بدأ التتار مهاجمة الصين بقصد تدميرها والاستيلاء عليها .. وحَّد الصينيون قواهم ، وتمكنوا من الصمود أمام هجمات التتار فى الوقت الذى بدأ فيه الشقاق يدب بين قبائل المغول ، مما جعل قائدهم «تموجين» ينزوى فترة من الزمن بقصد ترتيب صفوفه .

وهذا ما حدث بالفعل ، ففى عام 1203 تمكن «تموجين» من جمع شمله مرة أخرى ، وعاد أقوى بكثير ، وقضى على جميع معارضيه ، فأحكم قبضته على السلطة مرة أخرى ، وأطاعته قبائل منغوليا الشرقية جميعها بما فيها قبائل «النايمان» المسيحية القوية فى منغوليا الغربية حتى استحق لقب «جنكيزخان» .

بدأ جنكيزخان فى تكوين جيش قوى ، ووضع الأسس الأولى لإمبراطوريته ، وكون حرساً خاصا به قوامه نحو ألف رجل ، وأخضعهم لتدريب قوى عنيف أشرف عليه بنفسه .. ووضع القوانين والنظم التى أعادت ضبط الإمبراطورية ، وبدأ يضع الخطط لتوسيع تلك الإمبراطورية على حساب الآخرين .

وفى عام 1215م بدأ جنكيزخان بتحقيق طموحاته التوسعية ، ففتح بكين عاصمة الصين بعد اختراق سور الصين العظيم ، ثم وجه ابنه «جوجى» لفتح بلاد فارس ، ولحقه بجيش آخر بقيادته ، فتمكن من فتح تلك البلاد التى كانت فريسة للاختلافات ، ووقعت فارس كلها تحت سيطرته عام 1226 .

فى عام 1227م توفى جنكيزخان ، وقسمت إمبراطوريته الواسعة بين أولاده وكان لجنكيزخان ثلاثة أولاد ، هم : «جوجى» وقد مات قبل أبيه بستة أشهر .. «جفتاى» ، فقد تمتع بنفوذ عظيم فى السلطة الرسمية للإمبراطورية .. أما الابن الأصغر فهو «تلوى» فقد ورث بيت أبيه ، أى كرسيه القبلى فى منغوليا الشرقية .

وقعت نزاعات وخلافات عديدة بين أولاد جنكيزخان فيما بين عامى 1235 ، 1241م .. وقد أدت هذه النزاعات إلى تفكك كبير فى الإمبراطورية المغولية مما أعطى الأمان والطمأنينة للدول المجاورة ، ومنها الدولة الاسلامية . كان ذلك إبان الخلافة العباسية ، وعاصمتها بغداد .

ووسط هذه الخلافات ظهر على الساحة الرسمية للإمبراطورية المغولية «هولاكو» ، حفيد جنكيزخان ، ابن «تولوى» ، وقد ركز نشاطه العسكرى والسياسى نحو الدولة الإسلامية .

وبمجىء هولاكو بدأت فصول المأساة التاريخية بالنسبة للدولة الإسلامية .. تلك المأساة التى بلغت ذروتها يوم سقطت بغداد !!

جمع هولاكو جيشه عابراً نهر «جيحون» فى بلاد ما وراء النهرين متجهًا إلى سهول وجبال إيران قاصداً بغداد عاصمة الدولة العباسية .. فى ذلك الوقت كانت الدولة العباسية تعانى الضعف والوهن بعد وفاة الخليفة الحازم ذى الهمة العالية ، الغيور على دينه وأمته «الناصر لدين الله العباسى» .. ومجىء خلفاء مستضعفين أمثال : «المستنصر بالله» و «المستعصم بالله» .. فقد أصبحت الدولة فى زمانهم مفككة الأوصال ، تتنازعها الأهواء والمطامع الشخصية ، حتى ضعفت تمامًا وأصبحت على وشك الانهيار والسقوط .

وفى السابع عشر من يناير عام 1258 سارع هولاكو بجيشه نحو بغداد ، وأرسل إنذاراً مذلاً إلى الخليفة العباسى المستعصم بالله ، يطالبه فيه بهدم حصون المدينة وقلاعها ، وألا يقاوم دخول قوات المغول .. ورفض الخليفة الإنذار، فحاصرت قوات المغول المدينة من كل الجهات ، ودارت معارك انتهت بدخول المغول المدينة ورفع راياتهم على أبراجها ، وشرع الخليفة فى الاستسلام .. وترك الخليفة قصره وسار إلى هولاكو المنتصر ، فأمره هولاكو بإخراج كل كنوز العباسيين ، فأخرجت ، واعتُقل الخليفة وبنيه ، وقتلوا .. وانتهت بذلك الخلافة العباسية التى حكمت العالم الإسلامى نحو خمسة قرون !! أمر هولاكو سكان بغداد بالخروج من ديارهم بدون

سلاح ، فخرجوا حتى امتلأت الأرض بهم ، فأحاط بهم المغول من كل صوب وانقضوا عليهم انقضاض الوحوش الجائعة حتى أفنوا منهم قرابة مليونى نسمة ، فى أكبر مذبحة عرفها التاريخ !!

امتلأت المدينة بالجثث المتعفنة ، مما أدى إلى انتشار الوباء بها ليقضى على البقية المتبقية من أهلها !!

وعاث المغول بالمدينة فساداً ، فدمروا كل معالمها ، وحطموا المساجد والقصور، ونهبوا البيوت ، وأحرقوا الكتب التى كانت تفخر بها مكتبات بغداد وألقوها فى مياه نهر دجلة حتى سدت مجرى الماء فيه .. وهكذا فقدت الإنسانية أغنى كنز ثقافى كانت تمتلكه حتى ذلك الوقت !

وماذا بعد ؟

ظل «هولاكو» يتشوق إلى تحقيق حلمه فى إنشاء إمبراطورية كبرى ، فهاجم الشام ، وتغلب على أمرائها الضعاف ، وبدأ يخطط لاحتلال مصر وشمال إفريقيا ، إلا أن المماليك فى مصر بقيادة «سيف الدين قطز» كانوا أول من وقف بوجه الغزاة.. وكان المغول قد طلبوا إليهم الاستسلام ، فردوا عليهم بهجوم مباغت على فلسطين .

وفى عام 1260 م كانت معركة «عين جالوت» .. وفيها تمكن جيش المماليك بقيادة السلطان سيف الدين قطز ، والقائد الشجاع «ركن الدين بيبرس» من إيقاع الهزيمة بجيش المغول ويبدد جموعه ، ويحبط مسعاه لاحتلال مصر وشمال إفريقيا .

وقتل قائد المغول ، «كتبغا» ، وعادت بلاد الشام إلى المسلمين ، وبدأ الانحلال يسرى فى قوى المغول حتى انهارت تحت ضربات المسلمين .. وقد أيقن التتار قيمة الإسلام وعظمته فدخلوا فيه طائعين .

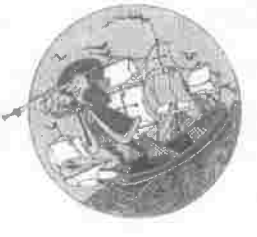

21- إحراق جان دارك (1431م)

The Burning Of Joan Of Arc (1431)

فى عام (1428م) كانت فرنسا ممزقة إلى حد كبير بسبب الحروب الداخلية ، وبسبب الحروب المتعاقبة ضد الغزاة الإنجليز الذين كانوا يهاجمون الأجزاء الشرقية من فرنسا فى هجمات متتالية . وكان «أهالى إقليم بورجانديا The Burgandians» قد اعترفوا بالولاء للملك الإنجليزى «هنرى السادس King Henary VI» وبينما كان الوريث الشرعى ، والملك الحقيقى «شارل التاسع Charles» لا يزال محاصرا فى «أورليان Orleans» كانت الوحدات المسلحة للجيش الإنجليزى تسيطر على نصف أراضى فرنسا .

والآن ، لعب التوفيق دوره الحاسم ضد الإنجليز المحتلين لنصف أراضى فرنسا . إن فتاة عذراء متواضعة الشأن ـ من خلال تقديمها مثلا يحتذى فى الفداء والتضحية دفاعاً عن الوطن ـ قد أيقظت شعبها الفرنسى وجعلت صفوفه التى كانت ممزقة من قبل تلتحم ، وجعلت جراحه تتماثل للشفاء وتلتئم . وتحقق للفرنسيين استخلاص أراضيهم التى كان قد احتلها الإنجليز شبرا شبرا ، وأجلوا عنها الإنجليز الغزاة الغرباء . وهكذا تحقق بعث جديد لأمة فرنسية عظيمة .

لقد جاءت «جان دارك Joan Of Arc» من مدينة «دومرمى Domremy» تدفعها بعض الدوافع الدينية التى كانت تسيطر على كل كيانها ، وتهيب بها أنها تستطيع أن تحرر أرض وطنها من الغزاة الإنجليز المغتصبين ... وبعد صعوبات جمة تغلبت عليها بعد جهد جهيد بفضل حماسها وعدم تسرب اليأس والإحباط إلى قلبها ، نجحت جان دارك فى أن تصل إلى مواقع وخطوط القتال الفعلية للجيش الفرنسى ، وحصلت على تصريح بالذهاب لتخليص القوات الفرنسية التى كانت محاصرة فى أورليان ، وكان ملك فرنسا محاصرا معها ، وكأنما كان النصر المبين يمشى فى ركابها ويلازم الراية التى كانت ممسكة بها ... لقد تم بالفعل تحرير أورليانز وتم تتويج الملك فى احتفال كبير فى مدينة «ريمس Rheims» خلع عليه انتصار الفرنسيين مهابة وجلالا دون مثيل .

وبينما كانت جان دارك مشغولة بمطاردة بعض فلول الجيش الإنجليزى المنسحب، أوقعها بعض الخونة فى إقليم «بورجنديا» فى كمين ثم باعوها للإنجليز . وبعد محاكمة صورية غير جدية كان الحكم لديها جاهزا مسبقا قبل بدء المحاكمة تحت إشراف «كوتشون Cauchon» كبير أساقفة الجيش الإنجليزى ، الذى كان يحقد كل الحقد على جان دارك ، حكمت المحكمة الظالمة على جان دارك ذات التسعة عشر ربيعا من العمر بالإعدام حرقا .

وفى يوم الثلاثين من شهر مايو سنة (1431م) تم إعدام جان دارك فى ميدان السوق القديمة فى مدينة «روان Rouen» الفرنسية حرقاً وهى مشدودة إلى وتد . ومن العجيب أن أسرتها طالبت بإعادة المحاكمة بعد أربعة عشر عاماً من حرقها (1445).. وصدر الحكم ببراءتها ، وفى عام 1920 أشهرتها الكنيسة قديسة .